سوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري

هدى عبد الصاحب العلوان
استاذ مساعد
محمد مهدي حسين
قسم هندسة العمارة
كلية الهندسة- جامعة بغداد
بغداد - لعراق

الخلاصة :-

تحاول مناهج سوسيولوجيا الحياة اليومية تحديد وادراك الروتين في العلاقات والممارسات الاجتماعية. وبذلك فإنها لا تعطي فقط الأهمية للمعتاد المألوف واتخاذ المعتاد على محمل الجد كتصنيف وتحليل، ولكن أيضا تسلط الضوء على العلاقات الاجتماعية للحياة اليومية والخبرات والممارسات، التي تكون مألوفة الاعتياد ببساطة وبشكل مباشر، ومعتادة وروتينية.

يناقش هذا البحث التطور التاريخي لسوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري ، التي تشير الى الأفراد، والأفكار، والسياق المحيط التي ساعدت على تشكيل هذه الحركة النظرية المتطورة. من مدرسة شيكاغو ولويس ويرث، جورج سيمل، والتر بنيامين، إدموند هوسرل، جورج لوكاتش، إلى مدرسة فرساي ودي سيرتو و، يفبفر هنري: حيث التركيز مؤخرا على التجريبية والحسية في الفضاء الحضري وآثارها على أنماط العلاقات الفضائية. حيث ان التركيز على الجانب (الجزئي، المعتاد المألوف، والروتين) هو تأسيس، لمدى واسع من التعقيدات والبنى والعمليات للعالم الاجتماعي المعاصر.

وتتحدد مشكلة البحث في ان الدراسات السابقة لسوسيولوجيا الحياة اليومية والنظريات المتعلقة بها لم تكشف عن تأثيرات سوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري على أنماط العلاقات الفضائية. وقد عالج البحث المشكلة عن طريق تحديد هدف أساسي يتمثل في الكشف عن أثر سوسيولوجيا الحياة اليومية على أنماط العلاقات الفضائية.

لتحقيق هذا الهدف تم بناء الإطار النظري، الذي في ضوء تم طرح فرضية البحث التي تنص على: ان هنالك نمطين أساسيين للعلاقات الفضائية الحضرية المحددة بسوسيولوجيا الحياة اليومية، الاول نمط العلاقات الذي يقيد الفضاء الحضري ويرتبط (بالحتمية البيئية) للمدينة، والثاني النمط الذي يؤدي الى توليد الفضاء الحضري ويرتبط (بالاحتمالية البيئية) للمدينة ، ثم سعى البحث لاختبار صحة هذه الفرضية واستخلاص النتائج من خلال اعتماد التحليل المورفولوجي المرحلي المقارن، الذي يتضمن التحليل المورفولوجي لمرحلتين أساسيتين أثرت في البنية الفضائية الحضرية لمركز الرصافة التاريخي في مدينة بغداد.

الكلمات الرئيسية : سوسيولوجيا الحياة اليومية، نمط العلاقات الفضائية الحضرية، المورفولوجيا الحضرية ،المراكز التاريخية .

1- المقدمة :

إن اهتمام النظريات الكبرى بدراسة الطابع المؤسسي أو التنظيمي، والعلاقات الاجتماعية التي تشكلها، جعلها تبتعد عن الاهتمام بالفرد وواقعه الحياتي، وهو ما خلق تيارات نظرية جديدة نصبت نفسها للدفاع عنه، وتأسيس حركة فكرية تهتم بسوسيولوجيا الحياة اليومية.

وما يقصد بالحياة اليومية Everyday Life هو: ..إنها الوجود المتعين للإنسان أو حالة الوجود التي لا يحددها حدود نظامية.. إذ تتضمن مكونات عدة هي: الوسط المعيشي أو الوسط الثقافي.. وأشكال التبادل المادي..Habitus والثقافي.. وأشكال التدخل التي تسهم في إعادة إنتاج الحياة اليومية.. وهو الوجود الجسدي والاجتماعي والتاريخي الذي يمسك ببنية العالم المعاش، والذي يسعى في الوقت ذاته لتعيين الأسس الحياتية والعلاقات الاجتماعية القائمة في الواقع المعاش. [2]

فظهور مثل هذا النوع من الرؤى النظرية التي تهتم بدراسة الواقع الحياتي واليومي للفرد في إطار الواقع المعاش، جعل

البعض يدير ظهره للطابع المؤسسي الذي اتصف به علم الاجتماع لوقت طويل، مما أفضى إلى خلق اتجاه جديد يهتم بإنتاج مجموعة من التصورات التي جعلت من عالم الحياة اليومية ميداناً لها، واعتباره وحدة أساسية للتحليل للكشف عن العلاقات الاجتماعية.

إن عدم فهم الطابع المعقد للظواهر الاجتماعية والنزول إلى الواقع المعاش جعل البعض يطرح نموذجا لخطاب جديد لدراستها. فعلى سبيل المثال نتيجة لهذه الأزمة، رأى البعض أنه آن الأوان أن يتوجه علم الاجتماع باعتباره علما يهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية بعيدا عن الحتمية، حيث لابد من تأويل هذه العلاقات في إطار الذاتية، فاختزال المعرفة السوسيولوجية في شكلها البنيوي من شأنه أن يؤخر عملية فهم المعنى الذي يتضح بشكل جلي في تأمل بهذا الشكل يكون عمل الاجتماع هو بالأساس معني بإنتاج معاني الدلالات، أو بمعنى آخر أنه أسلوب إنتاج الأسباب.(الدالة في المجتمعات الحديثة). [1]

وعلم الاجتماع وفق الوصف السابق يكون قد تحول من عملية وصف النظم وتحليلها وبناء الواقع، إلى عملية إنتاج المعلومات التي من خلالها يمكن الوقوف على النشاطات العلمية للمجموعات الاجتماعية القائمة في أي مجتمع، تلك التي قد تكون سلوكا أو نشاطا أو حتى محادثة أو رمزا. ويجدر أن نشير في هذا الصدد إلى أن الذي أتى فعله في إطار السوسيولوجيا، كانت وراءه أسباب تتصل بطبيعة العلم، فليس فقط الخلاف المنهجي هو الذي جعل التيارات النظرية الجديدة تخاصم الطابع المؤسسي الذي جاءت على نحوه التيارات النظرية الكبرى، بل أيضا كانت أسبابه تتمثل في الحد من استعارة هذه النظريات من علوم أخرى خاصة العلوم الطبيعية والإحصاء، والحد من التحليلات الواسعة والاستعارات التي تخالف طبيعة المجتمعات. مما ساعد علماء السوسيولوجيا على تقديم رؤى نظرية أخرى تتصل بالواقع المعاش، أو ما يسمى اليوم بعلم اجتماع الحياة اليومية.

مشكلة البحث :

وجود نقص معرفي شمولي دقيق عن سوسيولوجيا الحياة اليومية وانعكاساتها على علاقات الفضاء الحضري للمدينة

هدف البحث :

في ضوء المشكلة البحثية تم تحديد هدف البحث الاساسي وهو محاولة ارساء معرفة شمولية تتحدد بموجبها انعكاسات سوسيولوجيا الحياة اليومية للأفراد في الفضاء الحضري على العلاقات الفضائية للمدينة.

منهجية البحث:

استوجب تحقيق أهداف البحث اتباع المنهجية التالية-:

1- بناء قاعدة نظرية حول مفهوم سوسيولوجيا الحياة اليومية للأفراد في الفضاء الحضري بشكل عام ، وتحديد انعكاساتها على العلاقات الفضائية للمدينة من خلال دراسة وتحليل الطروحات السابقة باختلاف توجهاتها .

2- قياس تأثير سوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري من خلال اعتماد التحليل المورفولوجي المرحلي المقارن Morphological Periodization comparative analysis . لمركز الرصافة التاريخي لقياس انعكاسات سوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري على انماط العلاقات الفضائية

2. السوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري :

يهتم السوسيولوجيا (علم الاجتماع) بسلوكنا ككائنات اجتماعية، وهكذا يشكل حقلا جامعا لعدة اهتمامات من تحليل لعملية الاتصالات القصيرة بين الأفراد المجهولين في الشارع إلى دراسة العمليات الاجتماعية العالمية. بشكل أعم، السوسيولوجيا هو الدراسة العلمية للمجموعات الاجتماعية والكيانات خلال تحرّك البشرِ في كافة أنحاء حياتهم. هناك توجه حالي في علمِ الاجتماع لجَعله ذي توجه تطبيقي أكثر للناس الذين يُريدون العَمَل في مكانِ تطبيقٍ .[1]

ويعمل علماء السوسيولوجيا في عدة اختصاصات، منها السوسيولوجيا الحضرية (Urban Sociology) الذي يتناول دراسة سوسيولوجيا الحياة و التفاعل البشري في مناطق المدينة . ذلك هو تخصص معياري لعلم الاجتماع يسعى لدراسة الهياكل والعمليات والتغيرات والمشاكل الحضرية لتوفير مدخلات للتخطيط وصنع السياسات. وبعبارة أخرى هو دراسة سوسيولوجية للمدن و دورها في تنمية المجتمع. بر و يستخدم علماء الاجتماع الحضري التحليل الإحصائي ، والمراقبة النظرية الاجتماعية ، والمقابلات، وغيرها من الطرق لدراسة مجموعة من المواضيع ، بما في ذلك موضوع الهجرة والاتجاهات الديموغرافية ،

[1] .المصدر: علم الاجتماع http://ar.wikipedia.org/wiki
[2] المصدر: http://en.wikipedia.org/wiki/Urban_sociology

والاقتصاد ، والفقر ، والعلاقات العرقية والاتجاهات الاقتصادية .

إذ ان الأسس الفلسفية للسوسيولوجيا الحضرية تنبع من أعمال علماء السوسيولوجيا الرواد مثل: (Karl-Marx),(Ferdinand-Tönnies),(Émile-Durkheim),(Max-Weber),(George-Simmel) الذين درسوا نظرية العمليات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من التحضر و آثاره على الاغتراب الاجتماعي، وتشكيل الطبقة الاجتماعية، و إنتاج أو تدمير الهويات الجماعية والفردية، ثم توسعت هذه الأسس من قبل مجموعة من علماء الاجتماع والباحثين الذين عملوا في Chicago School لعلم الاجتماع في أوائل القرن العشرين مثل (Robert Park ,Ernest Burgess ,Louis Wirth). حيث ظلت اسهامات مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع التي سادت خلال العقدين الاولين من القرن الماضي تهيمن على الحوار على الدراسات الحضرية . حيث ركزت على مفهومين مرتبطين ببعضهما البعض من مفاهيم Chicago School. الاول هو ما يسمى إتجاه الايكولوجيا الحضرية urban ecology (طروحات Robert Park) في دراسة توزيع الاحياء السكنية في المدينة (عادة التحضر في المجتمعات الحديثة) وقد صيغ هذا المفهوم اصلا في ضوء المماثلة الصريحة مع العمليات الايكولوجية في علم الاحياء، الثاني:الحضرية اسلوباً للحياة way of life(طروحاتLouis Wirth)التي ارست دعائم خصائص الحياة اليومية (Everyday life) العامة للفضاء الحضري للمدينة. وبالرغم من أهمية النظرية لـ Chicago School الا انها جوبهت بانتقادات واسعة ولكن لا تزال واحدة من التطورات التاريخية الأكثر أهمية في فهم التحضر والمدينة في العلوم الاجتماعية. [7].

وقد تناولت العديد من الطروحات السوسيولوجية العلاقات الاجتماعية اليومية التي تنعكس على الفضاء الحضري كعلاقات فضائية تساهم في تنظيم شبكة الفضاءات في المستقرات البشرية المختلفة وفي ما يأتي أهم تلك الطروحات :

أولاً: طروحات Emile Durkheim:

يعتبر من إسهامات Durkheim تصوره وجود شكلين أساسين من التضامن بين أفراد المجتمع اللذان يجسدان العلاقات الاجتماعية، وهذان الشكلان يعكسان نظريته نحو التطور والتغير الاجتماعي وهما : [8]

أ-التضامن الميكانيكي Mechanical Solidarity: وهو إحدى خصائص المجتمعات التقليدية التي يتضاءل فيها نظام تقسيم العمل.حيث يحدث نوع من التماثل والتشابه بين أنماط العمل السائدة في هذه المجتمعات كما تظهر المعايير الاجتماعية باعتبارها قوة ضاغطة وتمارس نوعا من القهر والإجبار .وتحدث نوع من التماسك حيث تتمثل المعايير والأعراف والتقاليد والقيم وتتقارب وجهات النظر والآراء إلى درجة كبيرة . فالعلاقات الاجتماعية تنم عن التفاعلات الدائمة والمستمرة.

ب- التضامن العضوي Organic Solidarity: وهو إحدى خصائص المجتمعات الحديثة المتقدمة التي تقوم على نظم معقدة لتقسيم العمل وتنوع نمط العلاقات التعاقدية التي تؤدي إلى انخفاض درجة التضامن الاجتماعي وندرة مظاهر التضامن .كما تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وضعف قوة الضبط الاجتماعي وظهور مظاهر متعددة للانحراف والجريمة. فالتفاعل الاجتماعي يكون تفاعلاً عابراً أو لحظياً أو مؤقتاً: وهو الذي يحدث لفترة عابرة من الزمن وقد يكون تلقائياً وغير منظماً مثل التجمع في اي فضاء عام . ويفترض قرب العلاقات الفضائية، تؤدي إلى خلق تجمعات كثيفة.[21] ، كما ان فكرة التضامن العضوي قريبة من مفهوم الحياة اليومية التي اعتمدها العديد من المنظرين في مجال علم الاجتماع والسوسيولوجيا الحضرية مثل, Erving Goffman[3] .

ثانياً- طروحات: Talcott Parsons:

ويرى Parsons ان المجتمع الانساني متكون من انساق اجتماعية متكاملة في ارتباطها ومتكاملة في وظائفها حيث يكون لكل نسق من عدة انماط ولكل نمط وظيفة اجتماعية خاصة بها، وكل نمط يتكون من عدة قواعد اجتماعية ولكل قاعدة وظيفة خاصة لتكون هذه الاجزاء المترابطة البناء الاجتماعي. وتسهم في انجاز وظائفه الاجتماعية. ففي دراسة Parsons عن موجهات القيم و أنساق الفعل حيث نظر إلى القيم باعتبارها معايير أو قواعد للاختيار بين عدد

[3] Goffman أحد المنظرين الاجتماعيين الذين تناولوا الفضاء في نظرياتهم. ، يعترف Goffman بأهمية الفضاء في الحياة اليومية كخلفية للعمل الاجتماعي الذي ، يلعب دورا هاما في التواصل والمعنى. والفضاء، بالنسبة له، هو محيط او وسط حيث يؤدي "الناس" الأدوار 'في حياتهم اليومية. يرى الفضاء، سمة من سمات الحياة اليومية،أوجد قاعدة لفهم التفاعل وجها لوجه .المصدر:(1990;). Goffman, E. 1990, The presentation of self in everyday life Penguin Books.

من الموجهات، ومن هنا تؤدي وظائفها الاجتماعية، باعتبارها أجزاء أساسية من الثقافة، حين تعبر عن الجوانب المقبولة اجتماعيا، و أنها من مكونات النسق و من المكونات التي تتوحد بها الشخصية، على اعتبار أنها عنصر مشترك في تكوين كل من نسق الشخصية و البناء الاجتماعي من حيث التضامن و التماسك [18]

فالأساس الذى يقوم عليه نموذج Parsons في التنظيم الاجتماعي عاملين: الاول: هو اتفاق أعضاء المجتمع في الراي اي الاجماع Consensus ومعنى ذلك يتفقون على نفس النسق القيمي والمعايير والثاني:المنفعة اي الاعتمادية المتبادلة او الفائدة التي تحققها الاغلبية نتيجة الحياة الاجتماعية المشتركة .ان حالة التوازن التي يصفها Parsons تعد مثالية لان النسق الاجتماعي لايعرف السكون او الاستقرار .

ثالثاً: مفهوم الحياة اليومية للفضاء الحضري وفقاً لطروحات Chicago School:

اعتمد مفهوم الحياة اليومية من قبل Chicago School الذي طرحه Louis Wirth عام 1938 بتوصيف للحضرية اسلوباً للحياة الذي يكون قاصرا في دلالته بالنسبة للمدن بصورة عامة، الا انه من الممكن القول بانه يلقي الضوء بالفعل على جوانب مهمة من تحضر الحداثة ككل .وربما امكننا ان نعبر بافضل صورة ممكنة بالقول بان ظهور المدينة الحديثة الى حيز الوجود يدعم نسيجا للحياة اليومية يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذي كان سائدا في المجتمعات التقليدية . ففي هذه الاخيرة كان تاثير العادات في الفضاء الحضري قويا وبارزا على الدوام وحتى في حياة المدن اليومية وكان اغلبية السكان يتطبعون بطابع اخلاقي ذو جذور دينية تقدم حلولا نمطية جاهزة لمواجهة تلك الظواهر الحياتية او التوافق معها عن طريق الامتثال للممارسات التقليدية الراسخة.[23] .

وهكذا فان مدن ما بعد الصناعة التي بدأت النمو والاتساع باضطراد الى وقتنا الراهن، قد بدأت تسود فيها عمليات اضفاء الطابع العملي النفعي على الحياة اليومية للفضاء ، وتوجيه انشطتها باتجاه غايات ذرائعية. حيث اصبح هنالك بعض اساليب ارتباط التنظيم العام للمجتمع ككل بالملامح اللصيقة بحياتنا اليومية .ويكمن احد اهم اسهامات علم الاجتماع في معاونتنا على فهم طبيعة هذه الروابط والعلاقات التي تنعكس بشكل مباشر على الفضاء الحضري للمدينة . [6] حيث ان الفعل الشخصي ضمن تجربة وممارسة الحياة اليومية لا يهدف الى ارضاء الحاجات وانما لتحقيق الرغبة.

وقد استندت البحوث الحضرية لمدرسة Chicago School على ابحاث Georg Simmel الاجتماعية لتطوير مفهوم الحياة اليومية . حيث ركز Simmel في طروحاته كأحد علماء الاجتماع على طرح سوسيولوجية الحياة اليومية للفضاء الحضري، الذي يلاحظ أن، المدينة هي مركز لاقتصاد المال والحياة الشخصية ، خصوصا المدن الكبرى الأكثر تعقيدا، حيث ان أكثر التفاعلات بين الناس تكون خلال التعامل اليومي والتي تكون تفاعلات عابرة، والعلاقات في معظم اتصالات المناطق الحضرية تكون أقل عاطفية مما في المجتمعات التقليدية الأصغر حجماً حيث ان الناس تميل إلى التفاعل مع أشخاص يعرفونهم أكثر من مجرد تفاعل أداء الأدوار مع الناس في الحياة اليومية في الفضاء الحضري .[20] كذلك تبدو طروحات Levi-Strauss بخصوص تطابق البنية المفاهيمية أو العمليات العقلية(وما يجب أن يحكمها) مع البنية الفضائية هي أقرب الى نموذج التضامن الميكانيكي أحد أنماط العلاقات الاجتماعية. وعلى العكس من ذلك، تشير تجربة الحياة اليومية أنه نادرا جدا، ان تتطابق مع نموذج Strauss الميكانيكي ،بل هي أقرب الى نموذج التضامن العضوي كنمط للعلاقات الاجتماعية أو ما يعرف بالعمل الجماعي. [9].

مما تقدم فان نموذج الحياة اليومية ــ Chicago School يميل الى الطابع الوظيفي النفعي أو الذرائعي بين الاماكن يكون الفضاء الحضري الاداة الرئيسية لها ، ويساعد على علاقات اجتماعية يومية بنمط التضامن العضوي والعلاقات اللحظية العابرة للفضاء ، وهو ما يتفق مع طابع المدينة الحديثة ، والتنطيق والعلاقات الوظيفية للأماكن والفضاءات .

رابعاً: مفهوم المنطق الاجتماعي للفضاء (في حقل التصميم الحضري):

ركزت نظرية تركيب الفضاء Space Syntax وطروحات Bill Hillier على تفسير النظريات الاجتماعية الوظيفية التي تناولت العلاقة بين التنظيمات الاجتماعية والفضائية استناداً لعدد من علماء الاجتماع والانثروبولوجي مثل (Emile Durkheim) و(Levi Strauss) من خلال كتابه الرائد المنطق الاجتماعي للفضاء The Social Logic of Space ، حيث تم تحديد نمطين أساسيين للتضامن الاجتماعي(Solidarity

Social) الاول التضامن الميكانيكي للمجتمع ناتج عن منظومة قيمية قوية تستند الى رابطة ايديولوجية او ثقافية والتي تظهر على المستوى المحلي وتعبر عن حيزيات ثقافية محددة حيث صاغ Hillier مصطلحين للتعبير عن نوعين للتضامن حسب علاقتهم بالفضاء : الأول(عبر الفضائي -Transpatial) ، أو الفضاء الايديولوجي(Ideological Space) وهو الذي يتعلق بالتضامن الميكانيكي، والثاني (الفضائي-Spatial[4] او الفضاء السياسي(Political Space) وهو ما يتعلق بالتضامن العضوي للمجتمع او ما يطلق عليه Strauss النموذج الاحصائي statistical model، وهو ما يظهر على المستوى الشمولي للبنية الحضرية ويتمثل بفضاءات وسطوح الالتقاء التعاملية للحياة اليومية Everyday life . [10]

ومقابل فكرة Durkheim بوجود منطق فضائي للمجتمع society has a certain spatial logic، طرح Hillier رؤيته (في نظرية تركيب الفضاء) بوجود منطق اجتماعي للفضاء Social logic of Space، الذي يتحدد حسب نمط التضامن (عضوي أو ميكانيكي)، حيث تميل وجهة نظر Hillier باتجاه تبني (النمط العضوي) لطبيعة العلاقات الاجتماعية في المدينة الذي لا يتفق مع طروحات العديد من المنظرين الذين طرحوا أفكار النظرية الحيزية. كطروحات قريبة من مفهوم الحتمية البيئية(Environmental determinism). الا ان Hillier يرى ملائمة فكرة الحيزية الفضائية ضمن حدود وانماط خصوصية السكن حيث يتم تقييد الحركة للغرباء ، بينما يتوافق النمط (العضوي) مع الطروحات النظرية لمفهوم الاحتمالية البيئية Environmental Probabilism والطروحات النظرية لـ Jane Jacobs [12] التي تناولت مبدأ (عدم التطابق البنيوي بين النموذج الاجتماعي(القيمي) والفضائي(A Structured Non-Correspondence Model of Society and Space). والسبب في ذلك هو الاختلاف الكبير بين حجم القطاعات كحيزيات صغيرة منعزلة والتي تحتاج الى سيطرة وتقييد الفضاء ، وبين مفهوم المدينة كمنظومة متكاملة تحتاج الى احتمالية بيئية عالية وتوليد فضاء اكثر من السيطرة على الاحداث الحضرية. ما يجعل المدينة ذات ازدواجية الداخل (الحيزيات التي تستند الى قيم اديولوجية) و الخارج المبني على علاقة تعاملية سياسية عابرة تستند الى الوجود المشترك للفضاء . وهو ما اطلق عليه (Hillier) ظاهرة (من الموضعي الى الشمولي- from local to global) الناتجة عن انشاء نمط شمولي من علاقات بينية للوحدات الاساسية وهو ناتج عن التضامن العضوي وتفاعل اجتماعي للحياة اليومية الغرض منها هو الإنتاج وسياسات السيطرة على الفضاء. أما ظاهرة (من الشمولي الى الموضعي- from global to local) فهي بنية شمولية متميزة تتجاوز مستوى التفاعل الاجتماعي للحياة اليومية، حيث ترتبط بعلاقات التضامن الاجتماعي الميكانيكي ، حيث تمثل فضاء القوة ، وبالتالي تجميع الفضاءات في المدينة حسب هذا النموذج يهدف إلى تحديد تصميم خارجي آيديولوجي (Landscape Ideological) من خلال العلاقات الداخلية. [10]

حيث يرى Hillier ان المباني أو (شبكة الفضاء الحضري الكلي للمدينة) تعمل بطريقتين الاولى تكون التنظيم الاجتماعي للحياة اليومية كتشكيل للفضاء الذي نعيش ونتحرك فيه ، والثانية تمثل تنظيم فضائي كتشكيل فيزياوي للأشكال والعناصر التي نراها ، فكلا البعدين لذلك بطبيعتها تشكيلية . [9]

وبالتالي فان المنطق الاجتماعي للفضاء يستند الى الاحتمالية البيئية ويعتمد الحياة اليومية Evereday Life للفضاء الحضري لتوليد سطوح التقاء لافراد لا تربطهم رابطة ايدلوجية أو منظومة قيمية او ثقافية وانما تعتمد على علاقات عابرة أو لحظية مؤقتة . وهو ما يؤدي الى توليد حركة طبيعية(natural movement) واقتصاد الحركة الحضرية (The urban movement economy) في النظام الحضري استناداً للوجود المشترك (Co-presence) في الفضاء في الحياة اليومية [9] وبالتالي تؤدي الاحتمالية البيئية الى ربط الفضاء مع المجتمع ، والتي تمثل فكرة (المجتمع الافتراضي) (Virtual

[4] **Spatial: (فضائي)**هو صفة للذي يرتبط أو يشغل أو يمتلك خاصية الفضاء ، هو مرتبط بفعالية إدراك علاقات الكائنات في الفضاء، المصدر: http://www.merriam-webster.com/dictionary/spatial
وفي :British English تستخدم كلمة Spatial (فضائي) ما يرتبط بالفضاء ،وما موجود أو يحدث في الفضاء ، وكذلك لوصف الاشياء المرتبطة بالمساحات ،وكصفة: تستخدم للتوزيع المكاني للسكان.المصدر: http://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/spatial

Community) الذي يعبر عن حيز الامكانات المحتملة للتلاقي والتواجد المشترك الذي نحيا ونتحرك ضمنه. إذ يؤكد Hillier على ان توليد المجتمع الافتراضي هو التأثير المباشر الوحيد للتنظيم الفضائي في الحياة الفضائية أما ما يحدث بعد ذلك فهو يقع ضمن تأثير العوامل الثقافية والحضارية. [11]

كما حاولت نظرية تركيب الفضاء حل مشكلة الفضاء المتمثلة بـ(لااجتماعية الفضاء desocialising of) space و (لا فضائية المجتمع despatialising of society) ، وذلك من خلال وصف المجتمع من حيث الفضائية spatiality الجوهرية ،ووصف الفضاء من حيث السلوك الاجتماعي الجوهري . الهدف من ذلك الفصل هو لاظهار كيفية وصف هاتين المشكلتين يمكن أن يكون اقترب ، من أجل بناء نظرية واسعة للمنطق الاجتماعي للفضاء والمنطق الفضائي للمجتمع.[10]

حيث سعت نظرية تركيب الفضاء لتجنب الممارسة الفضائية المبنية على افكار مفاهيمية (في طريقة التقاء الناس في فضاء الحياة اليومية). ونتيجة لذلك، تركيب الفضاء قد قاد باستمرار بعيدا عن التصميم كلغة واستراتيجية مفاهيمية. هذا وقد وجدت مسافة التعبير النظري عن طريق مفهوم التشكيل الفضائي الذي يجسد العلاقات الفضائية (بالاعتمادية المتبادلة) التي هي غير استطرادية (Non-discursive) فإنه يشير إلى الانماط الفضائية التي تقرأ وتفهم بشكل حدسي بواسطة (اختبار الفضاء) مع مرور الوقت. كما هو الحال في اللغة حيث لا نفكر في الكلمات ولكننا نستخدم الطرق التي تكون مرتبطة - نحويا حيث التركيب– لتشكيل معنى، والتشكيل يوظف دون وعي كجهاز عقلي.[9] وعلى النقيض من ذلك، التصميم يرفع التشكيل إلى مستوى المعرفة الواعية .

وحسب رأي .Patrik Schumacher فان التشكيل في نظرية تركيب الفضاء يمثل أحد انواع التنظيم الفضائي (Spatial organization) الذي يرتبط بالتنظيم الاجتماعي[19] مما يعني ان نظرية تركيب الفضاء هي إحدى المقاربات النظرية الوظيفية الاجتماعية .

يتضح مما ذكر:

أن لمنهج تركيب الفضاء هدفين الأول يوضح الطابع الاجتماعي للفضاء والثاني يوضح الطابع الفضائي للمجتمع. وفي كلتا الحالتين الوجود المشترك والالتقاء (co-presence and encounter)هي المفاهيم الرئيسية.

وان تركيب الفضاء يربط الفضاء إلى الأفراد والحياة اليومية، ومن ثم المجتمع، من خلال كتابة المعلومات الاجتماعية على تشكيل الفضاء Spatial Configuration وتأثير التشكيل على الوجود المشترك . ثم، يفحص العلاقة بين الفضاء في المجتمع من خلال الظروف المكانية والاجتماعية(الثقافية) التي هي ضرورية للوجود المشترك والالتقاء ليحدث من أجل التوليد لمجتمع أو الحفظ للمجتمع القائم.

ان هنالك منطق اجتماعي للفضاء يمثل بنموذج Paradigm للعلاقات الاجتماعية للفضاء يمكن ان يهيمن على المستوى الشمولي للمدينة فضلاً عن المستوى الموضعي.

ان المنطق الاجتماعي للفضاء من وجهة نظر Hillier يعتمد التأثير الوظيفي للعلاقات الفضائية للمدينة (المبنية على الاحتمالية البيئية للافراد ووجودهم المشترك) أكثر من التأثير الثقافي او الايديولوجي للمجتمع المبني على الحتمية البيئية.

خامساً: مفهوم الحياة اليومية وفقاً لمدرسة فيرساي Versailles school:

لا يستمد الطابع الثقافي للمكان من مجرد تحليل سياقه الاجتماعي والثقافي التاريخي أو شكله الفيزيائي، ولكن أيضا من ممارسات الحياة اليومية الذي يعيش أفراد المجتمع عليه اليوم. ان هذا الطرح يقودنا إلى شكل آخر من الأدبيات في الجغرافيا والفلسفة والنظرية المعمارية التي تهتم بالحياة اليومية من خلال العلاقة بين الشكل المبني built form للعمارة، والشكل الفضائي spatial form الذي يتضمن الممارسات الاجتماعية Social Practices.

وهو ينسجم مع أراء Bernard Tschumi الذي يرى ان فن الأداء هو امتداد طبيعي للفن المفاهيمي. وان هنالك شكلين لتعريف العمارة: كمفهوم وممارسة ، أو تعريف الفضاء وحركة الأجسام في داخله. بذلك فان معنى العمارة يوجد ليس فقط في العملية الإبداعية المكانية، ولكن أيضا في ممارسة الادائية الإنسانية. وبالتالي، العمارة ليست مجرد خلفية لتصرفات البشر، وانما جزء من الفعل نفسه. [22] والعمارة ليست موجودة في السياق البنائي فقط، ولكن أيضا في السرد اليومي للاحداث الذي يتجدد دون توقف ، فالطبيعة الثقافية للعمارة ليست مستمدة فقط من تاريخها، ولكن أيضا من ممارسات الحياة اليومية الراهنة . إذ ان الروايات اليومية تمنح الفضاء المعاني الثقافية.

وما ذكر من وصف لمفهوم الحياة اليومية ، يقودنا الى التطرق الى آراء منظري مدرسة فيرساي وأهمهم ما يأتي :

أ- Michel de Certeau: يرى بأن الممارسة اليومية لاعادة الاستئثار بالفضاء، تنتج المعنى الثقافي للمكان.[5] معنى المكان هو بالتالي جزء لا يتجزأ من ممارسة الحياة اليومية. حيث أن الإحساس بالمكان مشتق أساسا من ممارسة الحياة اليومية المعاصرة للإنسان في مكان منفصل عن تاريخ المكان [17] وبعبارة أخرى، فان الشعور بالمكان لايستمد من المشاعر العاطفية تجاه البيئة الحالية فقط، ولكن أيضا من ممارسات الحياة اليومية. ما هو أكثر من ذلك، غالبا ما يتأثر اسلوب ممارسة الحياة البشرية من خلال الشعور القائم للمكان. إذ أشار الفيلسوف J.E. Malpas الى ان كل من المكان والسياق الثقافي في الواقع يشكلان من قبل بعضهما البعض. [16]

ويرى de Certeau ان الحياة اليومية توجه من خلال شفرات اجتماعية محددة specific social codes (space-حيث يتثقف الناس بالتفاعل مع نظام الزمكان time system) الذي يعيشون فيه من خلال التجارب الحية ، و مفهوم الجغرافية الزمانية time-geography[5] هو تمثيل لنظام الزمكان ومكملاً مفيداً لـ . وهو مايؤدي وحسب رأي (Michel de Certeau)، الى تكييف السلوكيات بنيوياً فتنتمي إلى ما يسميه استراتيجيات الحياة اليومية strategies of everyday life ، الا ان هناك سلوكيات اللاوعي المعروفة باسم التكتيكات اليومية التي تقاوم الشفرات الاجتماعية للفضاء، حيث تمثل الاستراتيجيات خطة تسعى الى تحقيق اهداف شمولية ، الا ان التكتيكات تشير الى نهج عشوائي يستخدمه الافراد في عملية تحقيق الاهداف وبالتالي ، يتم تحديد الاستراتيجية (من قبل الشفرات الاجتماعية) ، في حين أن التكتيكات الفعلية لا يمكن التنبؤ بها .[5]

ب- Henri Lefebvre : الذي اشتهر بمؤلفاته في مجال الفضاء الحضري ، وبمفهوم نقد الحياة اليومية Everyday life والتي كان هو رائدها في العقد الثلاثيني للقرن العشرين ، وأدخل مفاهيم (الحق في المدينة right to the city) و(إنتاج الفضاء الاجتماعي production of social space)، وعمله على الاسلوب الجدلي (الديالكتيك)، والاغتراب، وتوجيه النقد للستالينية البنيوي .[7]

وأشار Lefebvre، الى ان الحياة اليومية هي بنية شمولية تتألف من ثلاثة عناصر أساسية(العمل work والترفيه leisure و الحياة الأسرية family life) في مثاله لحياة المزارع التقليدية، ومكان العمل (المزارع) هو دائما بالقرب من المنزل حتى أن عمله يمكن أن يكون جزءا من حياة أسرته ؛ واحتفالات المجتمع العادية أيضا تجعل حياة ﷺ فراغه ولهوه وترفيهه تنصهر مع حياته اليومية الخاصة . ومع ذلك ، نمط الحياة هذا لم يعد من الممكن العثور عليه في مجتمع الحداثة، حيث كسر الاتصالات بين العناصر الأساسية الثلاثة كما أشار Lefebvre، لأن العمل هو دائما العنصر الاهم لاستدامة الحياة اليومية. وهو ما يدل على فصل العمل عن الحياة الأسرية في نظام تقسيم المناطق الحداثوية. [13]

وفي مفهوم الحضرية والحياة اليومية اعتمد Lefebvre تعريفاً جدلياً لمفهوم الحياة اليومية (وهو تقاطع بين الوهم والحقيقة، والقوة والعجز، تقاطع منطقة سيطرة الانسان ومنطقة انعدام سيطرته [14] حيث توجد تحولات دائمة الصراع بين التنوع، والإيقاعات المحددة بمجموعة حزم:(الايقاعات الطبيعية ،وايقاعات فسيولوجية(وظيفية)، والإيقاعات الاجتماعية (أي المقارنة بين قيم الحياة اليومية والقيم الاجتماعية الثقافية للمجتمع) ، حيث تتكون الحياة اليومية(حسب تفسير Lefebvre) من أنظمة جزئية متجاورة دون أي صلة

[5] الجغرافيا الزمانية Time-geography هو ذلك الفرع من العلوم الإنسانية الذي يتناول دراسة العوامل الزمنية على الأنشطة البشرية المكانية بقيود من قبيل 1- السلطة ،2-والقدرة 3-والاقتران.
السلطة - حدود إمكانية الوصول إلى بعض الأماكن أو المجالات المفروضة على الأفراد أو من قبل أصحابها أو السلطات . ، **القدرة** - القيود على حركة الأفراد استنادًا إلى طبيعتها. على سبيل المثال تقيد العوامل البيولوجية الحركة مثل الحاجة إلى الطعام والشراب والنوم . ، **الاقتران** - تضبط الفرد وتجعله مرتكزًا في مكان محدد أثناء التفاعل مع الأفراد الآخرين لإكمال مهمة ما. - المصدر Gillian) (1993)

[6] كل من منهج مدرسة فرساي ومفهوم الجغرافيا الزمانية تأخذ هذه الفكرة بعين الاعتبار. وهنالك اتجاهات فكرية مماثلة في تحليل الحياة اليومية يمكن أيضا أن تكون موجودة في طروحات الناقد (Roland Barthes (1993)- التي تعتمد على مفهوم السيميائية اللغوية لشرح المغزى من الممارسة الاجتماعية. وقد تأثر بمفهوم Barthes العديدة العلماء الذين يشعرون بالقلق تجاه البنيوية structuralization (بنيوية الحركات اليومية في الفضاء) - من بينهم تحليل Bill Hillier لمنهجية (Space Syntax (1984 ، المصدر. (Evans ,2005)

[7] المصدر : http://en.wikipedia.org/wiki/Henri_Lefebvre

عقلانية، و لكل منها تأثيره الخاص ونتائجه المؤقته من الإيقاع ، والتكرار اليومي.[15]

ويمثل الصراع بالثورة التي تنشأ عندما يدرك ويفهم الناس التاثير الاوتقراطي autocritique في الهيمنة على صنع للقرار ، وبالتالي يؤدي الى ثورة حياتهم اليومية. ويمثل ذلك ضرورة بالنسبة Lefebvre لأن الحياة اليومية حسب رأيه هو ابقاء للرأسمالية واستنساخ لها، وان عدم نشوء ثورة سيؤدي الى استمرار الرأسمالية بتقليص نوعية الحياة و التحول دون التعبير عن الذات الحقيقية.

ويميزLefebvre الفضاء (المدرك حسيا perceived) – نعيش فيه- الذي يعتبر فضاء الحياة اليومية considers to be the space of everyday life والفضاء (ومدرك ذهنياً conceived) وهو فضاء النظام space of the system ، وبالتالي الفضاء هو الأداة التي يمكن استخدامها لممارسة السلطة ، سواء من النظام أو من الأفراد ، وبدعم العلاقات الاجتماعية ، لأن العلاقات لا يمكن أن يكون لها وجوداً حقيقياً (إلا في وعبر الفضاء) [14] ، إلا ان الخصائص الشكلية للحياة اليومية التي تلقت دعما من نمو التحضر الحديث تختلف اشد الاختلاف عن تلك التي كانت سائدة في الانماط السابقة من المجتمعات .

لقد فرض انتشار الراسمالية الضجر على العالم وابتلعت اولوية الطابع الاقتصادي والذرائعية والجوانب التقنية. وكل شئ بدأ من الادب والفن والاشياء ومن ثم استبعدت الشاعرية من مجمل الوجود . وسوف يكون من الخطأ النظر الى ذلك كما لو كان يقدم صورة رومانسية غير واقعية للمجتمعات القديمة .ان ما يهدف اليه Lefebvre هو القول بانه قد تم استبدال التقاليد الاخلاقية الراسخة المتكاملة مع الجوانب الاكثر رحابة من الوجود الانساني بنظم روتينية ذات نظرة ضيقة .وتكتسب مجموعتان من العوامل اهمية خاصة في تفسير نشأة طابع الحياة اليومية المتسم بالخواء اوالتفاهة اليومية في العالم الحديث .وتتعلق احداهما بالشكل الخاص باضفاء الطابع السلعي على الحيز في البيئة العمرانية الحضرية الحديثة بحيث اصبحت هذه البيئة العمرانية المصنوعة مفرغة من الشكل الجمالي .اما العامل الاخر فيمثل فيما اطلق عليه بعض المحللين الاجتماعين تعبير مصادرة انماط النشاط والخبرات الانسانيةالتي كانت تاخذها المجتمعات السابقة في اعتبارها بالكامل والتي كانت متاصلة في نسيج الحياة الاجتماعية بالنسبة للمجتمع المحلي كله. كما في السجون والمصحات العقلية والمستشفيات وكانت هذه بدورها معزولة عن بعضها البعض ويشير تعبير المصادرة الى استبعاد تلك الظواهر التي تمثل تهديدا لاستمرارية المجتمع من سياق الحياة اليومية من قبيل: الجريمة، الجنون، المرض، الموت. وفي مثل هذه الظواهر والافراد الذين يتعرضون لها كان يتم عزلهم عن تيار الحياة اليومية الاغلبية.[6]

حيث يؤكد Lefebvre ظهور شكل متميز من الحياة اليومية ذي طابع نظامي بالغ الوضوح ومجرد من المعنى الاخلاقي وخال من شاعرية الحياة . فاغلب ما تفعله المجتمعات الحديثة في الحياة اليومية ذو طابع وظيفي خالص في جوهره وينطبق هذا على سبيل المثال على الملابس الذي نرتديها والنظام اليومي الذي نتبعه واغلب ملامح المباني التي نعيش ونعمل بها حيث فرض انتشار الراسمالية اولوية الطابع الاقتصادي والذرائعي والجوانب التقنية. وبالمقابل يستعرض Lefebvre تفاصيل حضارات الاغريق ،الرومان ،الانكا والازتك التي تحمل طابع الاناقة و الخيال فكانت تلك الحضارات تعرف نوعا من التطابق بين نثر الحياة وشعرها(اي تطابق الجوانب الوظيفية والعملية مع الجوانب المعنوية والقيمية) ، وهو مماثل لما طرحه Hillier في مفهوم المطابقة وعدم المطابقة البنيوية الاجتماعية والفضائية .

ومما تقدم يمكن التوصل الى تعريف اجرائي لمفهوم سوسيولوجيا الحياة اليومية الوظيفية للفضاء الحضري للمدينة: هي الجانب الوظيفي للممارسة والتجربة الاجتماعية الفضائية socio-spatial practices and experience التي تحقق الوجود المشترك الطبيعي والوعي المشترك الذي ينشأ عن الحركة اليومية في شبكة الفضاء الحضري للمدينة . حيث تمثل الحياة اليومية جانب الأداء الوظيفي للفضاء الحضري الذي يولد الحركة الطبيعية لينشأ منها وجود مشترك ومجتمع افتراضي. وفي ذات الوقت تمثل بنية شمولية للفضاء الحضري للمدينة، بالاضافة الى كونها بنية موضعية لكل شبكة فضائية محلية ضمن المدينة.

3- فرضية البحث :

ومن خلال ما تقدم من طروحات نظرية لسوسيولوجيا، الفضاء الحضري، توصل البحث الى فرضية التي تنص على ان هنالك نمطين أساسيين من العلاقات الفضائية المتأثرة بسوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري ، النمط الاول يقيد الفضاء (ويرتبط بالحتمية البيئية) والنمط الثاني يؤدي الى توليد الفضاء الحضري ويرتبط بالاحتمالية البيئية الحضرية للمدينة .

4- القياس :

يستند البحث الى منهجية التحليل النمطي-المورفولوجي Typomorphology للبنية الحضرية من اجل قياس واختبار هذه الفرضية. إذ ان المورفولوجية الحضرية لكثير من المدن هي نتاج لتأثير الحضرية المادية والتاريخ الثقافي ، ويمكن ان تشكل هذه المورفولوجية بطريقة قابلة للحياة، وذات مغزى بان تجري في سياق الحياة اليومية الراهنة.

واستناداً لما تقدم تم اختيار احد المراكز التاريخية القديمة في مدينة بغداد، الذي تشكل نسيجه الحضري العضوي المتضام خلال عدة قرون، من خلايا تتمثل بالبيوت التقليدية المتجهة الى الداخل(الى فنائها الوسطي). حيث تنتظم هذه الخلايا في نظام حضري فضائي يمتلك خصائص المدن الاسلامية

لذلك سيتناول البحث وفقاً لمنهجية التحليل (النمطي– المورفولوجي) قياس المتغيرات المورفولوجية المرتبطة بالحياة اليومية المؤثرة في الفضاء الحضري للمدينة وهي: (أنماط المباني المشكلة للنسيج الحضري (تحبب النسيج الحضري) وانماط قطع الاراضي، انماط الفضاء الحضري كمحاور للحركة، التي تتضمن انماط فضاءات التجمع الحضرية والارتباطات الفضائية. [4].

واستناداً لمنهجية البحث، سيتم اعتماد التحليل المورفولوجي المرحلي المقارن، الذي يتضمن التحليل المورفولوجي لمرحلتين أساسيتين أثرت في البنية الفضائية الحضرية لمركز الرصافة التاريخي هما:

المرحلة الاولى :

مرحلة البنية الحضرية المتكاملة للنسيج القديم عام 1916 (بعد فتح شارع الرشيد)، حيث الاستمرارية الثقافية للنسيج القديم مع الحفاظ على الطابع الثقافي للمدينة تتضمن محاوراً تاريخية(ذات استعمال مختلط متعدد الفعاليات تجارية، دينية، ثقافي) تمثل مركزاً للحياة اليومية للمركز التاريخي، التي ترتبط بالشبكة الفضائية للنسيج القديم المتضمن للأحياء والمحلات السكنية، حيث تمتلك للخصائص الفضائية للمدن الاسلامية، حيث يمتلك هذا النسيج من الخصائص التي تجعله أحد أهم نماذج المدن الاسلامية في مدن الشرق الاوسط وهي: [3]

أولاً-(التدرج الفضائي بين العام والخاص)

ثانياً: الخصوصية أو الحيزية الفضائية (حيث وجود محلات للمسلمين، واخرى للمسيحيين وكذلك لليهود خلال تلك الفترة) .

ثالثاً- المركزية الفضائية للمحاور الرئيسية التاريخية المتعددة الفعاليات التي تجعل منه مركزاً للبنية الحضرية للمركز التاريخي .

بالاضافة الى خاصية التطابق بين البنية المفاهيمية (الثقافية والآديولوجية) مع البنية الفضائية الحضرية وهو ما يميز معظم المراكز التاريخية .

لكونها مرتبطة بالخصائص الفضائية لنموذج المدن الاسلامية. التي يكون فيها التطابق بين شعر الحياة ونثرها كما أشار اليها Lefebvre . وهو ما يحقق التكامل بين الشواخص وفضاءات الحياة اليومية .

التحليل المورفولوجي للمرحلة الاولى:

يتضمن التحليل المورفولوجي لهذه المرحلة تحليلاً لخصائص العناصر المورفولوجية المرتبطة بالحياة اليومية للمركز التاريخي وهي ما يأتي :

1-أنماط المباني (التي تشكل النسيج الحضري) –المرتبطة بالحياة اليومية .

ومعظم المباني السكنية ذات الفناء الوسطي ، وكذلك الشواخص المعمارية الاخرى(مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني(رض)، الجوامع ، الكنائس، القصور التاريخية ، والسراي الحكومي) جميعها تتضمن فناءاً وسطياً.

أحجام الخلايا(تحبب النسيج الحضري) وأنماط قطع الاراضي المرتبطة بالحياة اليومية للمدينة.

بالنسبة للخلايا السكنية فمعظمها ذات أشكال قطع أراضي (Plot)غير نظامية من حيث الشكل تتراوح بين مساحاتها بين 50-350متر مربع . أما الشواخص المعمارية فتختلف أحجامها.

2-انماط الفضاء الحضري محاور الحركة المرتبطة بالحياة اليومية.

التي تكون ذات أشكال متعرجة. تستند في تصنيفها حسب التدرج الفضائي بين الخاص والعام وهي (تدرج محاور الحركة السكنية المغلقة النهايات بأبعاد لا تزيد عن أربعة أمتار، والسكنية المفتوحة النهايات التي تسمح بالحركة العابرة والتي لاتزيد عن ستة أمتار، والمحاور ذات الاستعمال المختلط التجاري-الثقافي-الديني التي لا يزيد عرضها عن عشرة أمتار) .

3-انماط فضاءات التجمع (الفضوات) المرتبط بالحياة اليومية.

حيث تكون بأشكال غير نظامية تتراوح مساحاتها بين بين 100-1500متر مربع.

4-انماط ارتباطات الفضاء الحضري بالحياة اليومية. حيث يستند هذا الارتباط الى خصائص الارتباطات الفضائية للنسيج الحضري للمدن العربية الاسلامية التي تتضمن :(التدرج-الخصوصية –المركزية).
حيث ترتبط فعاليات الحياة اليومية بشبكة المحاور التاريخية للنسيج القديم (لهذه المرحلة) كما موضح في الشكل(3) وتشمل:
بوابات المدينة السور القديم (باب الشرقي ، باب المعظم ، والباب الوسطاني)
الارتباط بالفعاليات الثقافية والدينية مثل مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني(رض) ، جامع الخلفاء، وجامع مرجان، وكنائس متعددة منها كنيسة اللاتين)
الأسواق الرئيسية (سوق الغزل، سوق الشورجة سوق الصفارين، سوق السراي، سوق العبي، وسوق الاقمشة ودانيال) بالاضافة للخانات مثل خان مرجان.
ساحات الفضاءات المفتوحة الصغيرة الحجم (الفضوات)
السراي الحكومي ومبنى القشلة ومجاوراته والقلعة القديمة.
المباني التاريخية القديمة الاخرى مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي.
المباني السكنية المكونة من (طابق أو طابقين) التي تمثل معظم مساحة النسيج القديم للمركز التاريخي.

وبالتالي فان البنية الحضرية في هذه المرحلة تعد ذات نمط مقيد للفضاء الحضري الذي يتفق مع النمط العضوي المتضام، الذي يصعب فيه تحقق الحركة العابرة للمركز التاريخي الى بقية اجزاء المدينة. وهو أهم ما يميز الحركة في المراكز التاريخية العربية الاسلامية قبل اجراء عمليات التدخل الحضري فيها . مما يعني ارتباط الحياة اليومية للمركز التاريخي(خلال هذه المرحلة) بالخصوصية الثقافية للمركز التاريخي التي تشكل حتمية بيئية مرتبطة بالخصوصية الفضائية هذه. أي ان الحياة اليومية مرتبطة بالخصوصية الثقافية كنمط مقيد للفضاء.

تبين **الاشكال1،2،3،4،5،6** البنية الحضرية الاصلية لمركز الرصافة

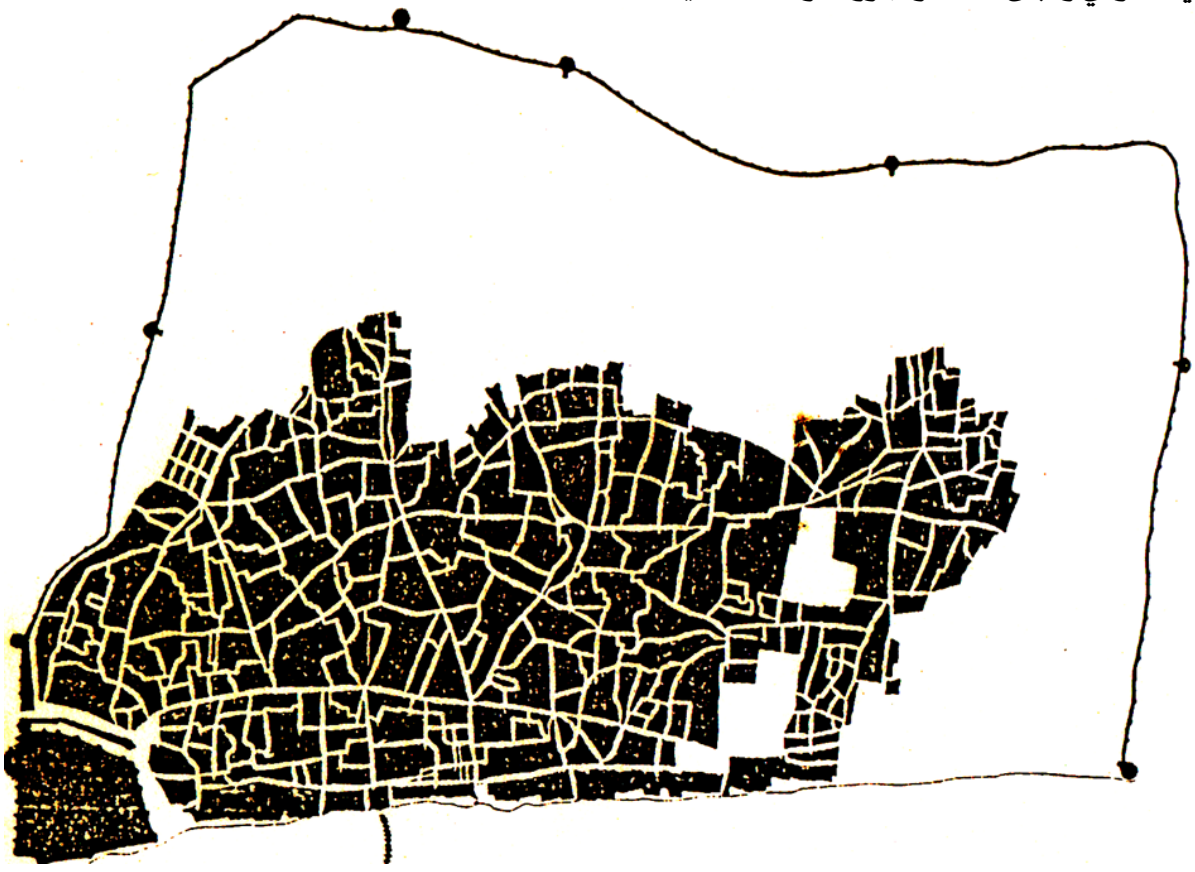

شكل 1 البنية الحضرية لمركز الرصافة التاريخي في المرحلة المورفولوجية الاولى

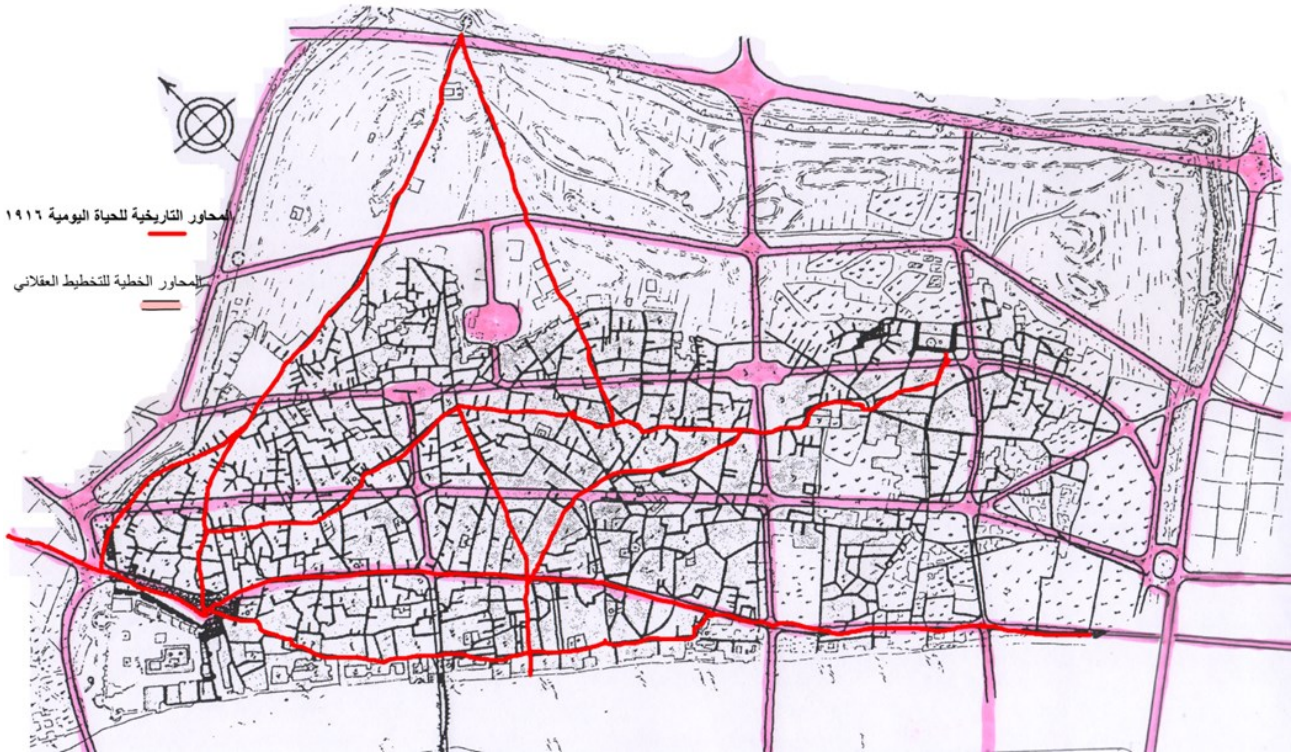

شكل 2 يبين العلاقة بين الشبكتين الفضائيتين اللتان تمثل الحياة اليومية للسيج القديم عام 1916والشبكة الفضائية الرئيسية للتخطيط العقلاني

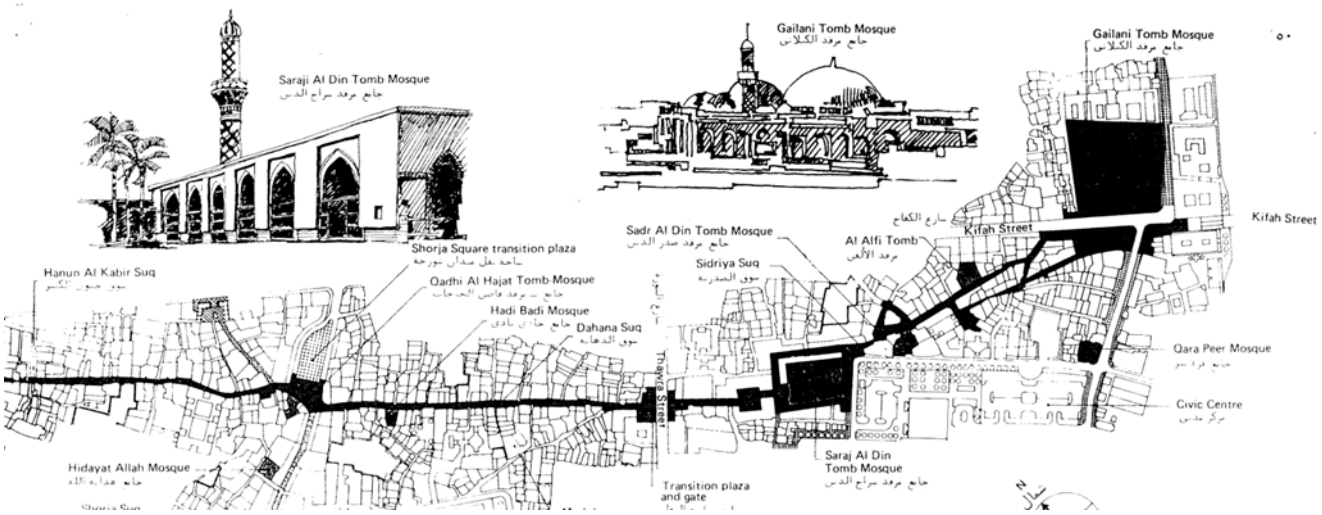

شكل 3 انماط المباني للمرحلة المورفولوجية الاولى وعلاقتها بالشواخص ومحاور الحركة الرئيسية

شكل 4 مخطط علاقة منطقة محددة من النسيج القديم مع شبكة الفضاءات الخطية بعد تدخل التخطيط العقلاني

شكل 5 النسيج الحضري لمنطقة محددة من البنية الحضرية لمركز الرصافة التاريخي يوضح الانماط الفضائية في المرحلة المورفولوجية لاولى

شكل 6 الى اليسار صورة للنسيج الحضري لمنطقة محددة من البنية الحضرية لمركز الرصافة التاريخي يوضح الانماط الفضائية في المرحلة المورفولوجية الاولى . الصورة الى اليمين زقاق ضمن النسيج القديم .

المرحلة الثانية :

تمثل هذه المرحلة مركز الرصافة التاريخي المتأثر بمجموعة من عمليات التدخل الحضري المخططة والعفوية التي استمرت الى الوقت الراهن. حيث بدأت هذه المرحلة بتدخل التخطيط العقلاني بالمركز التاريخي من خلال اقحام شبكة الشوارع الرئيسية المستقيمة على النسيج القديم لمركز الرصافة التاريخي من خلال فتح شوارع خطية على امتداد المركز التاريخي وتتمثل بثلاثة شوارع رئيسية هي شارع الكفاح وشارع الشيخ عمر في 1936 وشارع الخلفاء 1956 وما بينها من الشوارع العمودية وتقاطعات استكملت بموجبها الشبكة المتعامدة . حيث يستهدف التخطيط العقلاني ربط مركز الرصافة التاريخي بخدمات البنى التحتية المستحدثة لمدينة بغداد بعد عقد الثلاثينيات ، وبالتالي ربط المركز بالتوسعات المستحدثة لمدينة بغداد.
بالرغم من الحفاظ على أهم الشواخص المعمارية التاريخية خلال هذه الفترة ، إلا ان أهم ما يميز هذه المرحلة هو :

1- **ازالة مساحات من النسيج القديم وتقسيم النسيج القديم المتبقي من خلال شبكة الشوارع المستقيمة المستحدثة ، الامر الذي سهل تحول المباني السكنية الى تجارية بصورة مخططة أو عفوية.**

ضم مركز الرصافة التاريخي الى منطقة الاعمال المركزية لمدينة بغداد (الـCBD) حسب مخطط التصميم الاساسي لمدينة بغداد 1971 كما موضح بالشكل 7 حيث تم استغلال الشوارع الخطية الرئيسية (للتخطيط العقلاني) بالاضافة الى شارع الرشيد لتنفيذ مراكز ثانوية تضم مجمعات لمباني عالية (اكثر من ثمانية طوابق)، وهي :
المركز المدني في شارع الخلفاء(تقاطع الخلاني).
والمجمع الحكومي في شارع الخلفاء تقاطع الميدان.
مجمع المصارف المالي شارع الرشيد.
بالاضافة الى بعض المباني المتفرقة العالية والمستحدثة في هذه الشوارع . بالاضافة الى هذه المراكز أصبح مركز الرصافة التاريخي يضم عقداً مركزية للنقل العام (مرائب النقل العام) وأهمها مرآب النهضة، ومرآب الميدان.
وبالتالي أصبح مركز الرصافة التاريخي مرتبطاً بالحياة اليومية والرحلات اليومية لمدينة بغداد ككل، لكونه يمثل جزءاً من منطقة الاعمال المركزية (الـCBD) لمدينة بغداد كمدينة أحادية المركز استناداً للتصميم الاساسي للمدينة.

التحليل المورفولوجي للمرحلة الثانية:

يتضمن التحليل المورفولوجي لهذه المرحلة تحليلاً لخصائص العناصر المورفولوجية التاريخية المرتبطة بالحياة اليومية لمركز المدينة الناتجة عن هيمنة شبكة الفضاء الحضري الجديدة على شبكة النسيج القديمة ، كما يأتي :

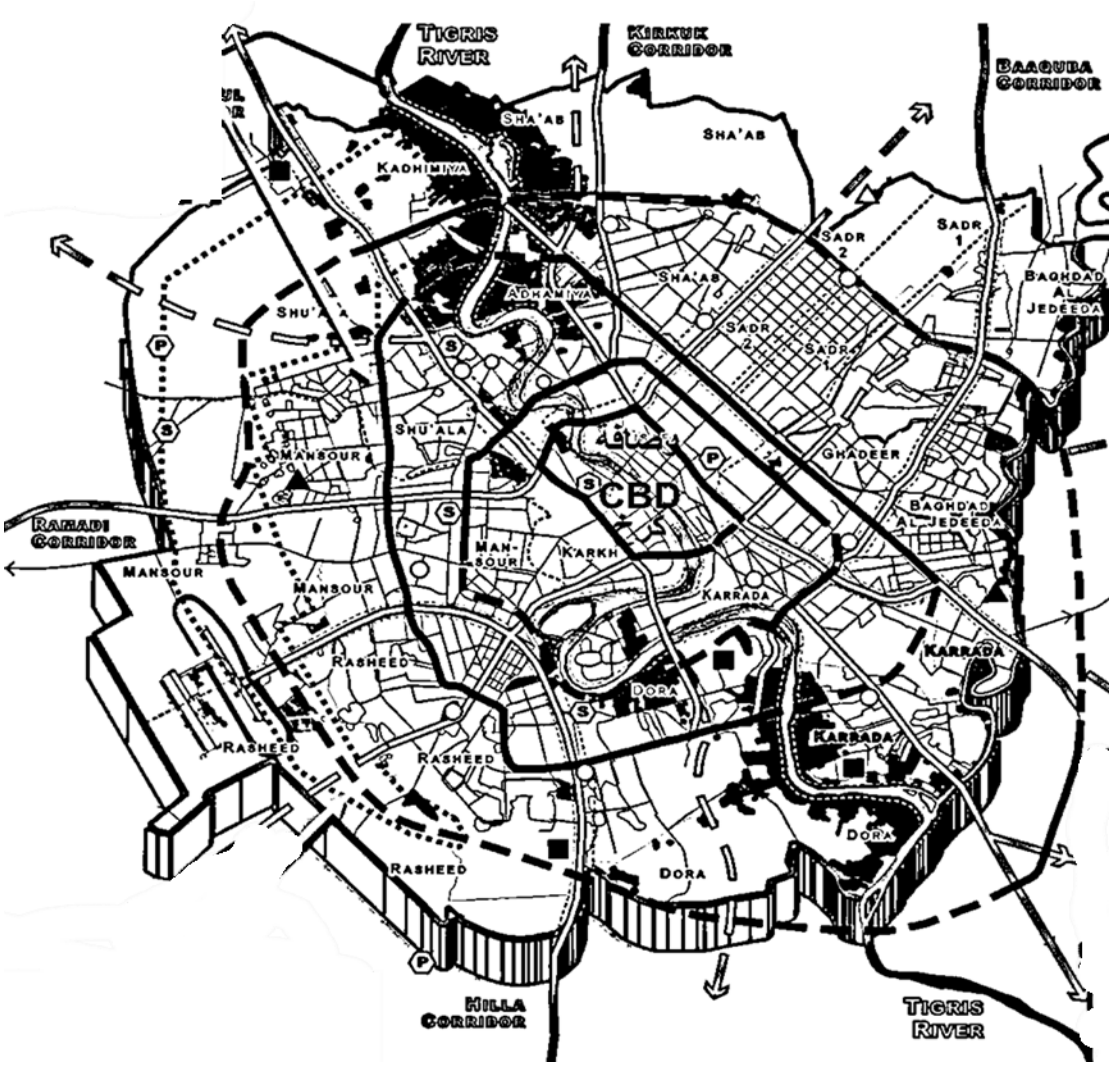

شكل 7 مخطط مدينة بغداد يوضح موقع الـCBD حسب التصميم الاساسي وعلاقته بمركز الرصافة التاريخي

1- نماط المباني التي تم صفها على جانبي الشوارع الخطية المستقيمة –المرتبطة بالحياة اليومية .

ومعظم المباني حكومية او تجارية تكون شريطية موجهة الى الخارج ذات ارتفاعات عالية.

2- أحجام الخلايا(تحبب Grain النسيج الحضري للمباني) وأنماط قطع الاراضي المرتبطة بالحياة اليومية للمدينة.

بالنسبة للمباني العالية فهي نتاج دمج قطع الوحدات السكنية التي تم تحويل قطع أراضيها (Plot)بصورة منتظمة الى مباني شريطية نظامية تتراوح مساحاتها بين 500-4000 متر مربع . عدا مجمع امانة بغداد وهيئة الضرائب فقد تم فيه استخدام مساحات كبيرة بنمط المباني الحرة Free standing.

وهنالك بعض المباني ذات الاستخدام المختلط التي تم تصميمها وفق مفهوم Super Block والتي تتضمن مرآب لوقوف السيارات المتعدد الطوابق مثل مبنى السنك ومجمع الرصافي.

3- انماط محاور الحركة□المرتبط بالحياة اليومية.

التي تكون ذات أشكال مستقيمة نظامية ذات محرم طريق يتراوح بين 25 – 40 متراً. تستند في تصنيفها حسب التدرج الفضائي بين الطرق الرئيسية والشريانية والثانوية.

4- -انماط فضاءات التجمع أو مواقع تقاطعات محاور الحركة الرئيسية للشوارع المرتبطة بالحياة اليومية لمركز المدينة .

وهي عقد التقاطعات والساحات(roundabout) التي تمت اقامتها ضمن النسيج الحضري لمركز الرصافة التاريخي التي تشجع على النمو والتطوير الحضري في مواقع التقاطعات مثل تقاطع الخلاني والوثبة والامين والسباع والرصافي والميدان.

5- نماط ارتباطات الفضاء الحضري بالحياة اليومية. حيث يستند هذا الارتباط الى خصائص الارتباطات الفضائية لمنطقة الاعمال المركزية التي تعتمد:

أ محاور الحركة الرئيسية للمرور العابر مثل الشوارع الرئيسية (الخلفاء والكفاح والشيخ عمر بالاضافة الى شارع الرشيد).

ب. وجود مرائب النقل العام المشار اليها آنفاً.

ت. وجود المنطقة التجارية المركزية لمدينة بغداد الممتدة بين الشوارع الخطية المستقيمة كمراكز لبيع الجملة والمفرد بالاضافة الى فعاليات الخزن.

الفعاليات الثقافية والسياحية التي تعتمد الشواخص المعمارية التاريخية ، والمحاور التاريخية للمركز التاريخي.

ج. وجود المركز المدني ضمن المركز التاريخي الذي يضم مجموعة من المؤسسات الحكومية المرتبطة بالحياة اليومية لساكني مدينة بغداد.

تبين الاشكال7،8،9،10،11،12البنية الحضرية بعد تدخل التخطيط العقلاني لمركز الرصافة التاريخي (المرحلة المورفولوجية الثانية).

وبالتالي فان البنية الحضرية لمركز مدينة الرصافة في هذه المرحلة تعبر عن احتمالية بيئية تجعل من الحياة اليومية للمركز ذات نمط مولد للفضاء الحضري لكونها مرتبطة بالحركة اليومية العابرة (بين المركز التاريخي ومنطقة الاعمال المركزية الـ CBD وبقية احزاء المدينة) أكثر من ارتباطها بالنمط الثقافي المفاهيمي للنسيج القديم الاصلي للمركز التاريخي .

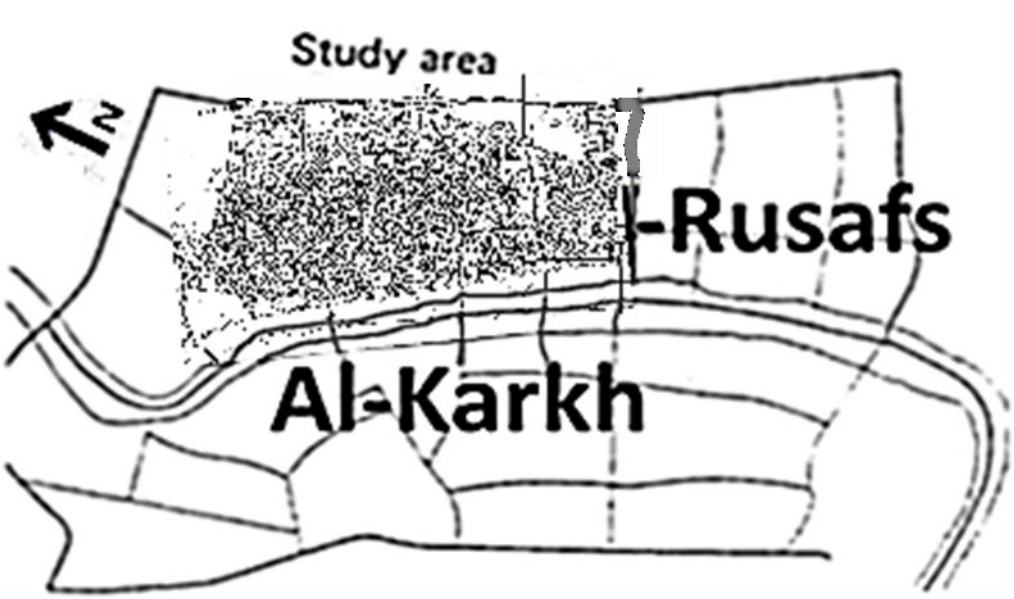

شكل 8 مخطط الـCBD لمدينة بغداد يوضح موقع مركز الرصافة التاريخي ضمن مركز المدينة

شكل 9 البنية الحضرية لمركز الرصافة التاريخي في المرحلة المورفولوجية الثانية

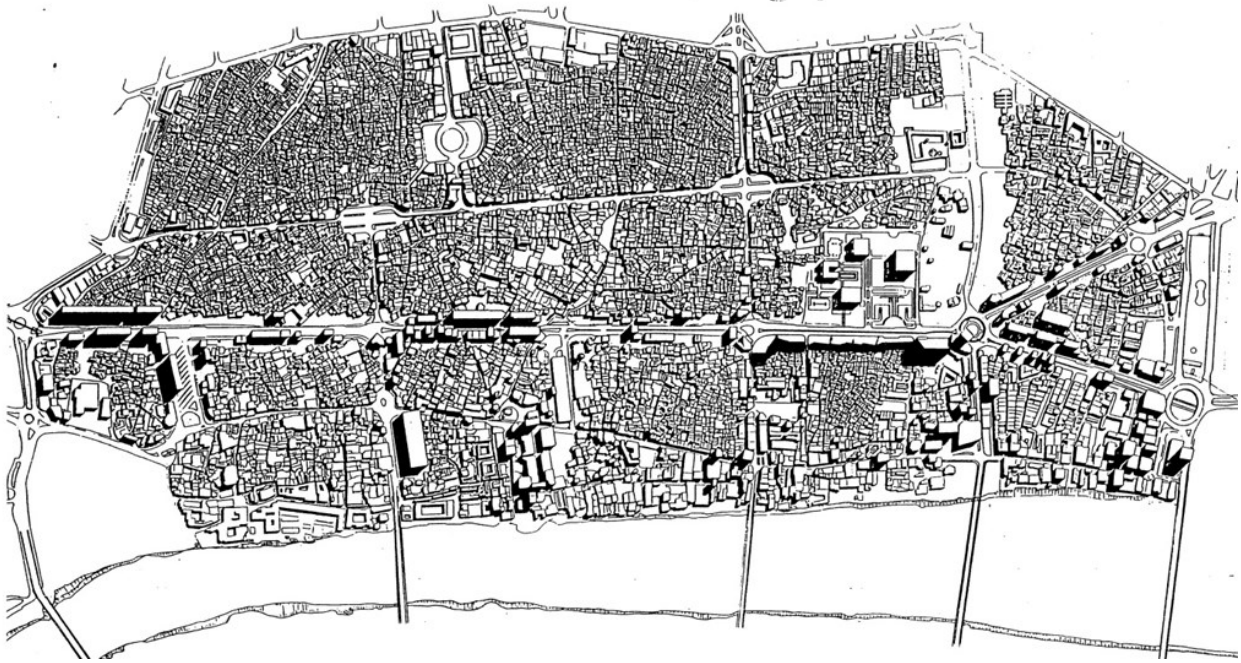

شكل 10 ارتفاعات المباني المركز المدني والمركز المالي والمركز الحكومي ضمن مركز الرصافة التاريخي في المرحلة المورفولوجية الثانية

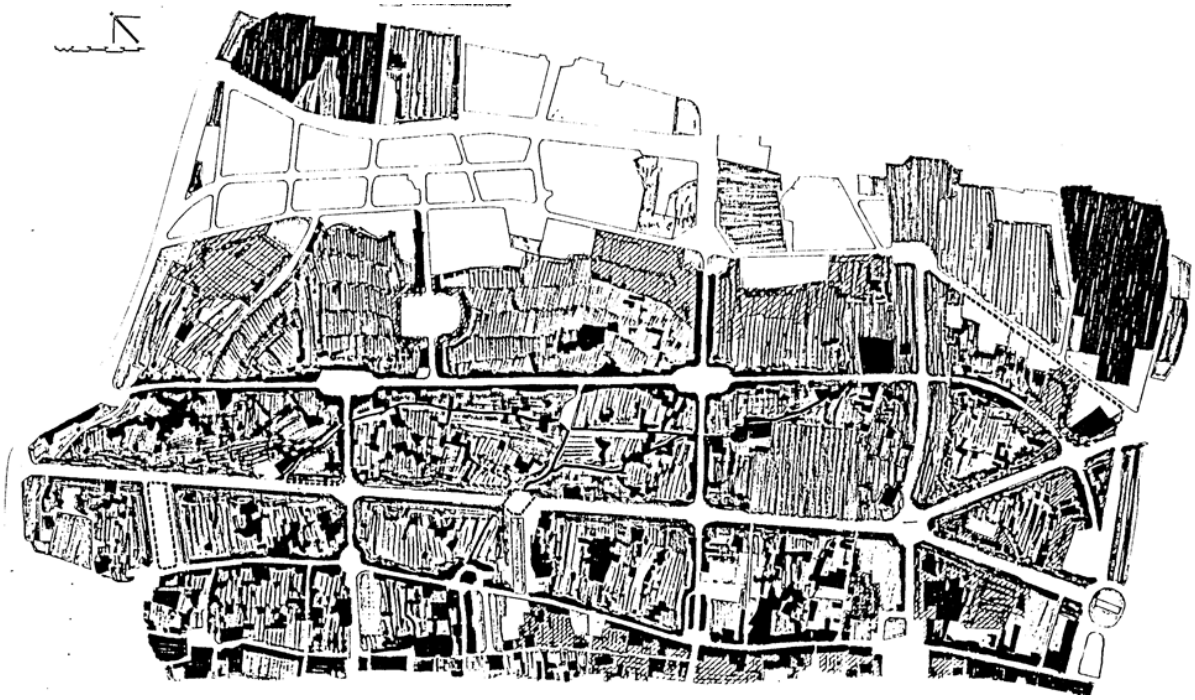

شكل 11 انماط الفضاءات المفتوحة في المرحلة المورفولوجية الثانية

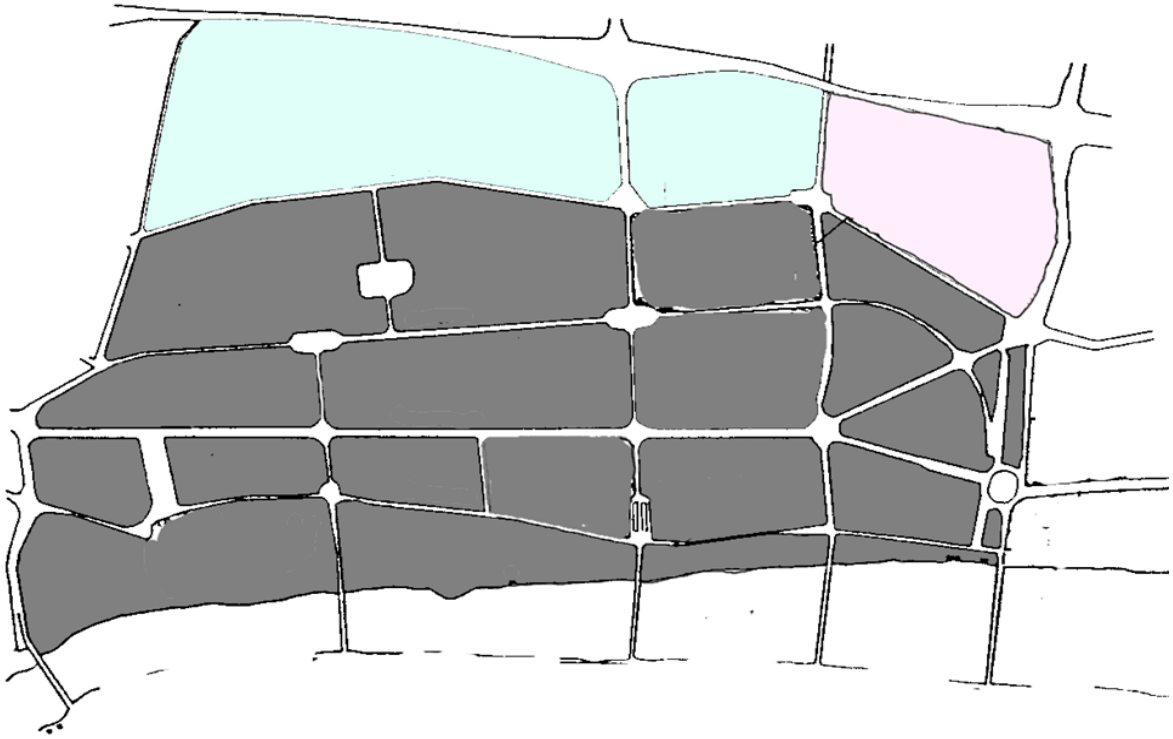

شكل 12 انماط محاور الحركة (تدخل التخطيط العقلاني) في المرحلة المورفولوجية الثانية

5 -الاستنتاجات :

1-لفضاء الذي يمثل الشكل المادي للمجتمع وبالتالي فان القيم الاجتماعية–الثقافية ، تمثل معايير وتفضيلات وموجهات للعلاقات الاجتماعية المحددة أو المولدة للفضاء الحضري.

2- ليس شرطاً ان ترتبط القيم الاجتماعية للفضاء الحضري بعلاقات البنية الاجتماعية الثقافية المحددة والـــمقيدة للفضاء ضمن حيزيات محلية ثقافية او ايديولوجية(لـــما يجب ان يكون كـحتمية بيئية)، وانما ترتبط بالحياة اليومية للفضاء الحضري للمدينة حسب الاحتمالية البيئية أيضاً. اي تأخذ بنظر الاعتبار السلوك الاجتماعي للمدن، وهذا يجعل القيم الاجتماعية للفضاء الحضري تخرج عن اطارها الذاتي والسايكولوجي لتكون في اطار اقرب للموضوعي الوظيفي للحياة اليومية المولد للفضاء.

3- ان المنظور السوسيولوجي للحياة اليومية، يرتبط بنمطين أساسيين للعلاقات الاجتماعية للفضاء في المدينة :الاول (النمط المرتبط بنظام العلاقات العابرة للفضائية- Transpatial System المتمثل بالتضامن الاجتماعي الميكانيكي) الذي يتلائم مع المفاهيم الحيزية الفضائية والحتمية البيئية، التي تؤكد على التـــــقـــيـــيـــد وإعادة الانتاج للفضاء (النمط الايديولوجي). والثاني النمط المرتبط بالنظام الفضائي Spatial System،المتمثل بالتضامن العضوي ، والذي يسمح بتوليد سطوح التقاء، ووجود مشترك ، وبالتالي انتاج الفضاء.

4- ان نمط العلاقات الاجتماعية المرتبط بالنظام الفضائي Spatial Systemالذي تأثر بشكل كبير بموجات الحداثة ومفهوم التنطيق بعد ظهور وظائف جديدة للمدينة) يؤكد على أهمية ممارسات الافراد الفاعلين فى حياتهم اليومية الوظيفية، القابلة للتشكل والتحول، حيث ممارسة الافراد المفتوحة الافق، التي لاتحدها قواعد صارمة ، بقدر ما تحدها حدود تمكن الافراد وقدراتهم على اختيار بدائل سلوكية وانماط تتلائم مع أهدافهم. مما يجعل هذا النمط من العلاقات الاجتماعية في الحياة اليومية يتلائم والاحتمالية البيئية الحضرية للفرد والمجتمع.

5- تحددت سوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري لنموذج مدن عصر ما قبل الصناعة (المدن التقليدية) بنمط التضامن الميكانيكي الذي يظهر تأثير العامل الاجتماعي المقيد للفضاء المتمثل بالحيزيات الفضائية الحتمية البيئية، أما النموذج الثاني فهو للمدن التي نشأت مع بداية عصر الصناعة والى يومنا هذا والتي تمتاز باعتمادها نمط التضامن العضوي الذي يتناسب ومفهوم الحياة اليومية Everyday lifeالوظيفية للمدينة التي توفر(الاحتمالية البيئية) للوجود المشترك لتوليد الفضاء، ولابد من هيمنة نمط من العلاقات الاجتماعية يكون محدداً لتقييد أو لتوليد الفضاء الحضري ومحدداً لتشكيل الفضاء الحضري للمدينة .

6- وبالتالي فان (مفهوم الحياة اليومية) كما تم الاشارة اليه في نظرية تركيب الفضاء هـــو مفهوم يهتم بمستوى الفرد، وخياراته اليومية في البيئة الحضرية ليشكل بمجموع الافراد من خلال فرص وجودهم المشترك في الفضاء، مجتمعاً افتراضياً قائماً على الاحتمالية البيئـــية .

7- هنالك نمطين أساسيين للعلاقات الفضائية المتأثرة بسوسيولوجيا الحياة اليومية للفضاء الحضري ، الاول نمط يقيد الفضاء الحضري(ويرتبط بالحتمية البيئية). والثاني نمط يؤدي الى توليد الفضاء الحضري ويرتبط بالاحتمالية البيئية الحضرية للمدينة.

□

6- المصادر:

1 - بوسينو، جوفاني. نقد المعرفة في علم الاجتماع، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥.

2- زايد، أحمد، خطاب. الحياة اليومية في المجتمع المصري، ، دار القراءة للجميع، الطبعة الأولى، دبي، ١٩٩٢ ص20

3-Bianca, Stefano Study on Conversation and Redevelopment of Historical Centre of Baghdad City,1984.

4-Conzen, M.R.G. Alnwick, Northumberland: A Study in Town-Plan Analysis. London: Institute of British Geographers.1969.

5-de Certeau, Michel. The Practice of Everyday Life. Berkeley. London:

University of California Press,1984.,p.117-118
6-Giddens, Anthony, Sociology, A Brief but A Critical Introduction, 2nd Edition Macmillan Press LTD,London,1989,p.140-142.
7-Gregory, Derek and others. The Dictionary of Human Geography. London: Blackwell, 2009,p78.
8-Hammond, Ron J. . Introduction to Sociology. Smashwords Edition published by: Dr. Ron J. Hammond and Dr. Paul Cheney on Smashwords, uvu.edu- Utah Valley Univ.,2010,p.68
9-Hillier, Bill, Space is the Machine : A Configurational Theory of Architecture. (Cambridge University Press, Cambridge, UK) .1996/the electronic edition published in 2007 by: Space Syntax. p.191.
10-Hillier, Bill,& Hanson J. The Social Logic of Space. Cambridge University Press, Cambridge, UK,1984. p20-24.
11- Hillier, Bill. "The Architecture of the Urban Object",Ekistics334& 335,(1989):5–21.
12-Jacobs, Jane . The Death and Life of Great American Cities. The modern library, New York.1961.
13- Lefebvre, H., Critique of everyday life, Vol II Verso, London.2002.p.183
14- Lefebvre, H. The Production of Space, Blackwell, Oxford Donald Nicholson-Smith, Editions, English translation ,1991.p.40
15- Lefebvre ,H & Régulier, Catherine. The project Rhythmanalysis Communications .Vol. 41 - No 1 – (1985):191-199.
16- Malpass, P. and Murrie, A., Housing Policy and Practice,4th edition,1994.p.35-36.
17- Massey, Doreen 'A Global Sense of Place'. In Reading Human Geography: The Poetics and Politics of Inquiry, T. J. Barnes and D. Gregory, eds. London: Arnold.1997.p.315-323.
18- Newman, David M, Sociology: Exploring the Architecture of Everyday Life,"10th Edition" DePauw University , SAGE ,,2014,p.18
19- Schumacher, Patrik. The Autopoiesis of Architecture, Volume II :A New Agenda for Architecture- Wiley, 2012.p.57
20-Short,John Rennie, Urban Theory-A Critical Assessment, Palgrave Macmillan ,2006.
21-Thompson, Ken. Emile Durkheim. Published in the Taylor & Francis e-Library,2003.p.53-70.
22- Tschumi, Bernard. Architecture and Disjunction. Cambridge, Mass; London: MIT Press,1994.p.149
23-Wirth, Louis. Urbanism as a Way of Life, Source. The American Journal of Sociology,Vol.44, No. 1 (1938):1-24.

The Sociology of Everyday Life of Urban Space□

Huda Al–Alwan□
Asst. Prof□
Mohammed Mahdi Hussein□
Department of Architectural Engineering
University of Baghdad- College of Engineerin
Iraq□

Abstract:

Sociological approaches to everyday life attempt to capture and recognize the routines in social relations and practices. In doing so, they not only give importance to the ordinary and take the ordinary seriously as a category of analysis, but they also highlight that everyday life social relations, experiences and practices are rarely simply or straightforwardly mundane, ordinary and routine.

This research discusses the historical development of everyday life sociology of urban space, indicating the individuals, ideas and surrounding context that helped to shape this evolving theoretical movement. From Chicago School and Louis Wirth, George Simmel, Walter Benjamin, Edmund Husserl, George Lukacs… to the Versailles School, De Certeau and Henri Lefebvre : a more recent focus on the experiential and the sensory in the urban space and their effects on the patterns of spatial relations. The research focuses on the micro, ordinary, banal and the familiar constitute, and are constitutive of the wider complexities, structures and processes of the contemporary social world.

The previous studies of the everyday life sociology and its related theories have not revealed the effects of the everyday life sociology of urban spaces on the patterns of spatial relations. The research addresses the problem by identifying a fundamental goal represented in revealing the impact of everyday life sociology on the patterns of spatial relations.

To achieve this goal a theoretical framework was built, in the light of which the hypothesis of the research was put forward stating that: There are two major patterns of urban space relations specific to the Everyday Life Sociology of Urban Space; the first pattern of relationships restricts the urban space of the city (associated with environmental determinism), and the second pattern causes the generation of the urban space of the city (and is associated with environmental probabilism). The research then sought to test the validity of the above hypothesis through the adoption of the Periodization Comparative Morphological Analysis, which included the morphological analysis of the two main stages that affected the urban infrastructure in Rusafa Historical Center in Baghdad city.

Keywords: Sociology of Everyday Life, Pattern of Urban Space Relations, Urban Morphology, Historical Centers.